پژوهش‌های معناشناختی متون ادبی ، دوره ۴، شماره ۲، سال ۱۴۰۵، صفحات ۲۴ تا ۳۹

پژوهش‌های معناشناختی متون ادبی

inguistic Antonymous Pairs in the Supplications of al-Ṣaḥīfa al-Kāẓimiyya: A Semantic Study

Mohammed Khalaf Sultan[a*], Sayyed Abulfazl Sajjadi[b], Ibrahim Anari Bozchallouei[c], Mahmoud Shahbazi[d]

[a)] PhD Student, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Literature and Languages, Arak University, Arak, Iran.
[b)] Professor, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Literature and Languages, Arak University, Arak, Iran, Email (a-sajady@araku.ac.ir)
[Cc)] Professor, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Literature and Languages, Arak University, Arak, Iran, Email (i-anari@araku.ac.ir)
[d)] Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Literature and Languages, Arak University, Arak, Iran, Email (m-shahbazi@araku.ac.ir)

KEYWORDS

Linguistic Binary Oppositions,
Structural/Synthetic Binary Oppositions,
Linguistic Context,
Al-Sahifa al-Kazimiyya.

ABSTRACT

Linguistic antonymy represents one of the most prominent semantic mechanisms in Arabic, playing a pivotal role in expanding semantic horizons and transcending the fixed central denotations of lexical items. This study investigates this phenomenon within al-Ṣaḥīfa al-Kāẓimiyya, treating this devotional corpus as a distinctive model of religious discourse that harnesses linguistic opposition to convey complex direct and indirect messages. Employing a descriptive-analytical method, the research tracks these oppositions throughout the supplications of the Ṣaḥīfa, underscoring the decisive function of linguistic context in steering signification and shaping counterpositional meaning. The significance of this study lies in elucidating the structural diversity of these antonymous configurations; rather than being confined to isolated lexical oppositions (al-ḍiddiyya al-mufrada), they encompass complex syntactic antonymies (al-ḍiddiyya al-murakkaba) operating across clauses and phrasal structures, thereby reinforcing the text's semantic density and rhetorical vigor. Furthermore, the study classifies these structures thematically into doctrinal, ethical-axiological, and existential dyads concerning the Divine Attributes and the servant–Creator relationship. The findings demonstrate that the deployment of antonymy in al-Ṣaḥīfa al-Kāẓimiyya constitutes an intentional semantic strategy designed to consolidate core theological concepts and introduce layered interpretative dimensions. Moreover, the analysis identifies multipartite "dual antonymies" (taḍādd muzdawij) in specific prayers such as Du'ā' al-Jawshan al-Ṣaghīr, opening new perspectives for linguistic inquiry into devotional discourse and confirming that antithetical structures serve as foundational elements in constructing sacred texts and heightening their affective impact on the reader.

* نویسنده مسئول؛ تلفن: ۰۹۱۸۸۶۶۰۵۲۲
آدرس پست الکترونیک: a-sajady@araku.ac.ir

دوگانه‌های متضاد زبانی در ادعیه «صحیفه کاظمیه»: پژوهشی معناشناختی

محمدخلف سلطان[الف]، سید أبوالفضل سجادی[ب*]،ابراهیم اناری بزچلوئی[ج] ، محمود شهبازی[د]

[الف] دانشجوی دکتری، گروه زبان و ادبیات عربی، دانشکده ادبیات و زبانها، دانشگاه اراک، اراک، ایران.
[ب] استاد، گروه زبان و ادبیات عربی، دانشکده ادبیات و زبان‌ها ، دانشگاه اراک، اراک، ایران، ایمیل (a-sajady@araku.ac.ir)
[ج] استاد، گروه زبان و ادبیات عربی، دانشکده ادبیات و زبان‌ها، دانشگاه اراک، اراک، ایران، ایمیل (i-anari@araku.ac.ir)
[د] دانشیار، گروه زبان و ادبیات عربی، دانشکده ادبیات و زبان‌ها، دانشگاه اراک، اراک، ایران، ایمیل (m-shahbazi@araku.ac.ir)

واژگان کلیدی

دو گا نه های متضـــاد زبانی،
دو گا نه های متضـــاد مفرد،
دو گا نه های متضـــاد ترکیبی،
سیاق زبانی،
صحیفه کاظمیه.

تاریخ دریافت:
۱۴۰۴/۰۸/۱۳
تاریخ بازنگری:
۱۴۰۴/۱۰/۰۱
تاریخ پذیرش:
۱۴۰۴/۱۰/۱۰

چکیده

پدیده‌ی «دوگانه‌های متضاد زبانی»، از برجسته‌ترین سازوکارهای معنایی است که زبان عربی از آن سرشار است و نقشی محوری در گسترش افق‌های معنایی و فراروی از دلالت‌های مرکزی و ثابت واژگان ایفا می‌کند. این پژوهش بر آن است تا این پدیده را در متن «صحیفه کاظمیه» به عنوان نمونه‌ای یگانه از متون دینی بررسی کند؛ متونی که با بهره‌گیری از تقابل‌های زبانی، پیام‌های پیچیده‌ای را به‌صورت مستقیم یا غیرمستقیم منتقل می‌سازند. این مطالعه با اتخاذ روش توصیفی-تحلیلی، به ردگیری این دوگانه‌ها در ادعیه‌ی صحیفه پرداخته و بر نقش «سیاق» در جهت‌دهی به دلالت و شکل‌گیری معنای مستفاد از تضاد، تمرکز دارد. اهمیت این پژوهش در واکاوی تنوع این دوگانه‌هاست؛ چراکه دامنه‌ی آن‌ها تنها به تضاد میان واژگان محدود نشده، بلکه دوگانه‌های متضاد مرکب شامل تقابل میان جملات و تعابیر را نیز در بر می‌گیرد که به متن، غنای معنایی و بلاغی ویژه‌ای می‌بخشد. افزون بر این، پژوهش حاضر این پدیده‌ها را بر اساس مضامین‌شان در سه دسته‌ی دوگانه‌های اعتقادی، اخلاقی-ارزشی، و وجودی (مرتبط با صفات الهی و رابطه‌ی عبد با خالق) طبقه‌بندی کرده است. یافته‌های پژوهش حاکی از آن است که به‌کارگیری تضاد در صحیفه کاظمیه، کنشی معنا شناختی و هدفمند برای تقویت مفاهیم محوری و افزودن ابعاد تفسیری جدید بوده است. همچنین این پژوهش از وجود «تضاد مضاعف» (چندجانبه) در برخی ادعیه، مانند دعای «جوشن صغیر» پرده برمی‌دارد که افق‌های نوینی را برای مطالعات زبانی در تحلیل گفتمانِ دعا می‌گشاید. نتایج نهایی تأکید می‌کند که دوگانه‌های متضاد، عنصری ساختاری و کارآمد در شکل‌دهی به متن دینی و تعمیق تأثیر آن بر مخاطب است که آن را به میدانی حاصل‌خیز برای پژوهش‌های نوین زبان‌شناختی بدل می‌سازد.

الثنائيات اللغوية المتضادة في أدعية الصحيفة الكاظمية دراسة دلالية

محمدخلف سلطان[أ]،سيد أبوالفضل سجادی[ب*]،ابراهيم انارى بزچلوئی[ج]،محمود شهبازی[د]

[أ] طالب دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة أراك، أراك، إيران، البريد الإلكتروني.

[ب] أستاذ، قسم اللغة العربية وآدابها،كلية الآداب واللغات، جامعة أراك، أراك، إيران، البريد الإلكتروني(a-sajady@araku.ac.ir)

[ج] أستاذ، قسم اللغة العربية وآدابها،كلية الآداب واللغات، جامعة أراك، أراك، إيران، البريد الإلكتروني(i-anari@araku.ac.ir)

[د] أستاذ مشارک، قسم اللغة العربية وآدابها،كلية الآداب واللغات، جامعة أراك، أراك، إيران، البريد الإلكتروني(m-shahbazi@araku.ac.ir)

الكلمات المفتاحية:

الثنائيات اللغوية الضدية، الثنائيات الضدية المفردة، الثنائيات الضدية التركيبية، السياق اللغوی، الصحيفة الكاظمية

تاريخ الاستلام:
۱۴۰۴/۰۸/۱۳
تاريخ المراجعة:
۱۴۰۴/۱۰/۰۱
تاريخ القبول:
۱۴۰۴/۱۰/۱۰

الملخّص

تعدّ ظاهرة الثنائيات الضدية اللغوية من أبرز الآليات الدلالية التي تزخر بها اللغة العربية، حيث تلعب دوراً محورياً في توسيع آفاق المعنى وتجاوز الدلالات المركزية الثابتة للألفاظ. يهدف هذا البحث إلى دراسة هذه الظاهرة في نصوص "الصحيفة الكاظمية"، باعتبارها نموذجاً فريداً للنصوص الدينية التي استثمرت التقابل اللغوي لإيصال رسائل معقدة، سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة. اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي لتتبع هذه الثنائيات في أدعية الصحيفة، مع التركيز على دور "السياق" في توجيه الدلالة وتشكيل المعنى المستوحى من التضاد. تكمن أهمية البحث في كشفه عن تنوع هذه الثنائيات، حيث لم تقتصر على التضاد المفرد بين الكلمات فحسب، بل شملت الثنائيات الضدية المركبة التي تتعلق بالتقابل بين الجمل والتعابير، مما يمنح النص دعماً دلالياً وبلاغياً قوياً. وعلاوة على ذلك، قام البحث بتصنيف هذه الظواهر وفقاً لمضامينها إلى ثنائيات عقائدية، وأخلاقية قيمية، وثنائيات وجودية تتعلق بالصفات الإلهية وعلاقة العبد بخالقه. وقد خلصت الدراسة إلى أن توظيف التضاد في الصحيفة الكاظمية كان توظيفاً دلالياً مقصوداً يهدف إلى تعزيز المعاني المركزية وإضافة أبعاد تفسيرية جديدة، كما كشف البحث عن وجود "تضاد مزدوج" متعدد الأطراف في بعض الأدعية كدعاء الجوشن الصغير، مما يفتح آفاقاً جديدة للدراسات اللغوية في تحليل الخطاب الدعائي. وتؤكد النتائج أن الثنائيات الضدية تمثل عنصراً بنيوياً فعالاً في بناء النص الديني وتعميق أثره في المتلقي، مما يجعلها ميدانًا خصباً للبحث اللغوي الحديث.

۱- المقدمة

تُعدُّ اللغة العربية وعاءً لسانياً ثرياً بالظواهر الدلالية التى تُشكل نسق الخطاب، ومن أبرز هذه الظواهر تبرز "الثنائيات الضدية اللغوية" كآلية فاعلة فى إنتاج المعنى وتعميقه. إن التضاد ليس مجرد تقابل بين لفظين، بل هو استراتيجية لسانية تهدف إلى إظهار التمايز وتحفيز ذهن المتلقى لإدراک الحقائق من خلال أضدادها؛ إذ "بضدها تتبين الأشياء."

وفى رحاب النص الدينى، يكتسب التقابل اللغوى أبعاداً أكثر عمقاً، حيث تبرز "الصحيفة الكاظمية" -بما تضمه من أدعية مأثورة عن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام)- كنموذج رائد استثمر هذه الظاهرة لتصوير المفاهيم العقدية والوجدانية. يأتى هذا البحث ليدرس "الثنائيات اللغوية المتضادة فى أدعية الصحيفة الكاظمية"، محاولاً الكشف عن كيفية تضافر الألفاظ المتقابلة لرسم صورة متكاملة للعلاقة بين الخالق والمخلوق، والبحث فى كوامن النص للوقوف على أسراره الدلالية والبلاغية. تكمن مشكلة البحث فى محاولة سبر أغوار النص الدعائى فى الصحيفة الكاظمية، الذى يمتاز بكثافة لغوية وعمق دلالى يتجاوز المعانى الظاهرة. فبالرغم من القيمة الروحية العالية لهذه الصحيفة، إلا أن الجوانب اللغوية الدلالية -وعلى رأسها الثنائيات الضدية- لم تنل نصيباً وافياً من التحليل المنهجى الذى يربط بين البنية اللغوية والسياق الدينى.

خلفية البحث

تعد الثنائيات الضدية من المباحث اللغوية المهمة التي حظيت باهتمام الباحثين في جميع الفترات التي مر بها البحث اللغوي في اللغة العربية؛ لما لها من صلة وثيقة بإنتاج المعاني اللغوية، وسعة الإضافات الدلالية التي تستشف من استعمال هذه الثنائيات ضمن النصوص اللغوية شعرا أو نثرا .

ولذا فقد توافرت مجموعة من الدراسات اللغوية التي عالجت موضوع الثنائيات الغوية الضدية ومن هذه الدراسات:

الكتب:

١-الثنائيات الضدية بحث في المصطلح ودلالاته ، وهو كتاب للكاتب (سمير الديوب) ، صادر عن المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية في العتبة العباسية المقدسة، الطبعة الأولى ٢٠١٧ – ١٤٣٩ هـ، إذ تناولت المؤلفة من خلال الكتاب التنظير لمصطلح الثنائيات الضدية، والتأصيل له في المعجمات وكتب المصطلحات، وخرج إلى أن هذا المصطلح من المصطلحات التي حظيت باهتمام المعجميين والمهتمين بشرح المصطلحات العلمية، ثم عرض المؤلف إلى فكرة الثنائيات الضدية بحسب العلوم التي تناولتها، فبين دور العلوم التطبيقية في عرض مصطلح الثنائيات الضدية، وعلاقة ذلك بعناصر الطبيعة، ومن ثم عرض إلى دور الثنائيات الضدية في علوم الرياضيات، والفيزياء، والكيمياء ، ومن ثم عرض دور الثنائيات الضدية في الفلسفة، وكيف تعامل الفلاسفة مع الثنائيات وفق الجوانب الفلسفية، فبين طريقة عرض هذه الثنائيات في الفلسفة القديمة، والفلسفة الصوفية من جانب آخر، ومن ثم تطرق إلى الطريقة التي تعاملت من خلالها الفلسفة الحديثة مع الثنائيات الضدية، ثم بين الباحث دور التراث الإسلامي من زاوية تعامله مع الثنائيات الضدية فعرض رأي الفارابي، وابن سينا وابن رشد والغزالي.

وناقش المؤلف دور الثنائيات في علم النقد، وكيف عالجت الاتجاهات النقدية المختلفة موضوع الثنائيات في ثنايا موضوعاتها، فعرض رؤية المدرسة الرومانسية، والمدرسة الماركسية، والمدرسة البنيوية، وما بعد البنوية، ومن ثم تعرض إلى الثنائيات الضدية في الفكر العربي القديم والحديث، والملاحظ على الدراسة على الرغم من شمولها لأغلب المدارس الفكرية والاتجاهات العلمية، بيد أنها لم تتطرق لعلاقة الدلالة بالثنائيات الضدية، ومدى تأثير استعمال الثنائيات الضدية على الدلالات المركزية والهامشية للنصوص.

٢-ومن الدراسات التي تناولت الثنائيات الضدية بشكل خاص، وتأثيرها على المعنى ما كتبه الباحث الدكتور عبد الرحمن أحمد إسماعيل كرم الدين، في بحثه الذي كان بعنوان (الثنائيات الضدية في نقائض جرير والفرزدق والأخطل وأثرها في أداء المعنى

الشعري)،وهو بحث نشر في مجلة العلوم العربية والإنسانية في جامعة القصيم في العدد (١) لسنة ٢٠١١م، وقد مهد الباحث لموضوعه من خلال مقدمة نظرية تناول فيها مفهوم الضديات اللغوية، وكيف تعرض القدماء لبيان مفهومها ومضان تطبيقاتها في كتب القدماء، مع عرض التفاوت الاصطلاحي الذي حدث في الإشارة إلى هذه الثنائيات في كتب القدماء، إذ أطلق بعض القدماء عا بالنقائض، وقد عرض الباحث من خلال بحثه تطبيقا عمليا لأثر هذا الظاهرة اللغوية على المعاني التي يروم منشئ النص أدائها، من خلال شعر النقائض لثلاثة من الشعراء عرفوا بشعر النقائض، وأكثروا منه وهم الفرزدق، وجرير، والأخطل)، وقد تناول الباحث ذلك من خلال بيانه لأثر ما أطلق ع بـ (الفضاء الاجتماعي)، ويقصد به: المظاهر العصبية، والقبلية في الجاهلية، والتي غذت هذه النقائض وساهمت في استثمار ظاهرة الثنائيات اللغوية الضدية من خلالها. وعرض الباحث أيضا لأثر ما سماه بـ (الفضاء الديني)، ويقصد به: تأثير الظواهر الدينية عل استعمال الثنائيات الضدية ومدى حضور الاختلافات المذهبية، والدينية في هذه الثنائيات.

٣-الثنائيات الضدية في الشعر العربي القديم للباحثة سميرة الديوب، وهو كتاب صدر عن منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب في وزارة الثقافة السورية لسنة ٢٠٠٩، وقد عرضت الباحثة من خلاله لنماذج من الأثر الأسلوبي للثنائيات اللغوية في نماذج من الشعر العربي القديم .

المقالات:

١-الدراسة الثالثة هي عبارة عن بحث تقدم به الباحثان ، الدكتور علي كاظم علي المصلاوي ، والباحثة رازقية كاظم رعد الجبوري ، ونشر في مجلة كربلاء العلمية العدد الثاني لسنة ٢٠١٥ ، وهو بعنوان (فاعلية الثنائيات الضدية في التشكيل الموضوعي في رثاء المدن الأندلسية — دراسة تحليلة –)، وهو بحث مختصر تناول من خلاله الباحثان مفهوم الثنائيات الضدية في النقد العربي، ومن ثم في النقد الغربي، ومن ثم تعرضا لنماذج من الثنائيات الضدية التي وردت في قصائد رثاء المدن في الأندلس برؤية نقدية.

إن وجه التمايز لهذا البحث، وعنوانه: "الثنائيات اللغوية المتضادة في أدعية الصحيفة الكاظمية دراسة دلالية"، مقارنةً بالدراسات السابقة المذكورة في الخلفية، يمكن إيجازه في النقاط التالية:

١-التخصص في النص المختار (النص الديني/الوعائي):

-يتمثل التمايز الأبرز في تخصيص الدراسة لأدعية "الصحيفة الكاظمية"، وهو نص ديني محدد وله سياقه الخاص.

-على النقيض من ذلك، عالجت الدراسات السابقة الموضوع في سياقات أوسع (التنظير العام للمصطلح)، أو نصوص أدبية وشعرية (النقائض، الشعر القديم، رثاء المدن)، مما يجعل هذا البحث فريدًا في تطبيقه على هذا المصدر الدعائي الخاص.

٢-التركيز على الجانب الدلالي والسياقي:

-ينص العنوان والملخص صراحةً على أنه "دراسة دلالية"، ويركز بشكل خاص على أن هذه الدلالات "تختلف باختلاف سياق الأدعية".

-هذا التأكيد على الدور الحاسم للسياق الدعائي في تشكيل دلالات الثنائيات يميزه عن الدراسات التي قد تركز على الجوانب الأسلوبية أو النقدية أو التنظيرية للمصطلح، ويستهدف سد الفجوة التي أشارت إليها الخلفية حول عدم تطرق دراسة (سمير الديوب) لعلاقة الدلالة بالثنائيات الضدية.

٣-التصنيف الدلالي العميق والمحتوى العقائدي والأخلاقي:

-يذهب البحث إلى أبعد من مجرد رصد الثنائيات المفردة والمركبة ليُصنفها دلاليًا إلى "الثنائيات الضدية العقائدية" و"الثنائيات الضدية الأخلاقية والقيمية".

–هذا التصنيف يدل على غوص في محتوى النص الديني والرسائل العقدية والأخلاقية التي تحملها هذه الثنائيات، وهو منهج يميزه عن التحليلات اللغوية والأسلوبية البحتة الموجودة في غالبية الدراسات السابقة.

أسئلة البحث

١- ما مدى حضور الثنائيات اللغوية الضدية في أدعية الصحيفة الكاظمية؟

٢- ما هي الدلالات المركزية والهامشية التي ونتجت عن حضور هذه الثنائيات في نصوص الصحيفة المباركة ؟

٣- ما هي أنواع الثنائيات اللغوية الضدية التي وردت في أدعية الصحيفة الكاظمية ؟

الإطار النظرى للبحث

تعريف بالصحيفة الكاظمية

تُعدّ "الصحيفة الكاظمية" مجموعاً مباركاً يضم الأدعية والمناجات المروية عن الإمامين الهمامين؛ الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) والإمام محمد بن علي الجواد (عليه السلام). تمثل هذه الصحيفة كنزاً معنوياً ولغوياً نفيساً في التراث الإسلامي، حيث لا تقتصر قيمتها على الجوانب التعبدية والروحية فحسب، بل تُعتبر مدرسةً فكريةً وأخلاقيةً متكاملة تجسد أرقى مستويات البلاغة العربية والفصاحة العلوية. تتميز نصوصها بسبك لغوي فريد يجمع بين عمق المضامين العقائدية وبين جمالية التصوير الفني، مما جعلها مورداً غنياً للباحثين في مجالات اللغة والبلاغة واللاهوت، ووسيلةً لتعميق الرابطة الروحية بين العبد وخالقه من خلال لغةٍ تتسم بالخضوع والتبتل والبيان المحكم.

الثنائيات اللغوية

هي تركيب لغوي يتكون من تلازم لفظين في السياق واحد، و بينهما ارتباط دلالي أو صوتي أو نحوي، وتنتج عن اجتماعهما غايات دلالية، أو أسلوبية، أو بلاغية لايمكن أن يؤديها كل منهما منفردا(ينظر: عبد العزيز عتيق، ١٩٨٥م، ٣٢٩) .وتعد هذه "الثنائية اللفظية نمط تعبيري يتكون من كلمتين متقاربتين في الصياغة أو المعنى، ويستعملهما المتكلم معا لزيادة الإيضاح أو التكثيف الدلالي، وغالبا ما تكون هذه الصيغ مألوفة في الاستعمال البلاغي أو التداول". (محمد العمري، ٢٠٠٥م، ١١٢). وبلاغيا عرفت الثنائيات بأنها " هي ازدواج تعبيري يقترن فيه لفظان لتأدية غرض بلاغي كالتوكيد أو التناسب الصوتي أو التضاد أو الترادف أو التفصيل بعد الإجمال، ويتكرر هذا التركيب في الاستعمال العربي الفصيح ليصير جزءا من النمط البلاغي الثابت". (تمام حسان، ١٩٩٣، صـ ٢٧٨).

والثنائيات على أنواع ولكل منها وظيفة ضمن السياق اللغوي الذي ترد فيه؛ ولذا صنفت إلى:

١–الثنائيات الترادفية : هي التي تتشكل من اجتماع كلمتين متقاربتين أو متماثلتين في المعنى، تستعملان معا في سياق واحد لتأكيد المعنى وتكثيفه. ومن أغراضها البلاغية التوكيد، وإظهار ثبات المعنى أو استقراره في النفس، أو الإطناب الجميل ، مثال ذلك (إيمانا وصدقا)، يقول عبد العزيز عتيق:"كثيرا ما تجيء الألفاظ مترادفة لتوكيد المعنى، كما في (إيمانا وصدقا)، وهو من المحسنات المعنوية في البديع".(١٩٨٥م ، ٣٢٩.)، مثال ذلك قول الإمام (ع) : " أقر وأشهد، وأعترف ولا أجحد، وأسر وأظهر، وأعلن وأبطن"(الابطحي ، محمد باقر ، ١٤٢٧هـ ، ٣٥) فقد وردت في هذه العبارة ألفاظ ترادفية متعددة، إذ تكررت هذه الصيغ للإقرار بالعقيدة الحقة، فقد تضافرت الأفعال المتقاربة دلاليا (أقر، أشهد، أعترف...) للتأكيد على صدق الاعتقاد وثبات اليقين، و التوكيد على صدق الإيمان وشموليته في الباطن والظاهر، والسر والعلن.

٢–الثنائيات التضادية : وهو تركيب يتكون من كلمتين متضادتين، تردان في سياق واحد معا؛ لتحديد المفهوم بالضد، أو لتجسيد المفارقة بين حالتين، ومن أغراضها البلاغية :

١-إظهار الفرق أو التحول بين حالتين.

٢-تقوية المعنى بالضد.

٣-الإثارة الذهنية، للمتلقي .

١- أبراز المعاني وتحقيقها ،وهذا ما أشار له الدكتور تمام حسان :بقوله :

"يعد التضاد من الوسائل البلاغية المهمة لإبراز المعنى، والثنائيات التضادية من الأدوات اللفظية التي تحقق ذلك بشكل جلي" (حسان، ١٩٩٣: ٢٧٨).

و مثال ذلك قول الإمام الكاظم (ع) : " أنت الخالق وأنا المخلوق، وأنت الرازق وأنا المرزوق، وأنت الرب وأنا المربوب" (الأبطحي، ١٤٢٧هـ:١٩) ففي هذه العبارة ثمة تضاد دلالي، إذ تقوم هذه الثنائيات على إبراز الفرق بين صفات الله وصفات العبد، وتؤكد على حالة العبودية الكاملة، والافتقار المطلق، و تجسيد مقام التذلل والتواضع أمام الله تعالى.

علاقة الثنائيات الضدية بالدلالة

ثمة علاقة وطيدة بين الثنائيات اللغوية الضدية وعلم الدلالة، فمن المعروف إن للكلمات دلالة أولية محددة ينصرف ذهن السامع لها، عند سماع الكلمة الدالة عا، تسمى بـ (الدلالة المركزية)، لكن ثمة دلالات هامشية أخرى تكتسبها الكلمات والتعابير من خلال سياق ورودها ضمن نص واحد، ولذا يمكن القول: إن مجيء الكلمات المتضادة في سياق لغوي واحد يضفي على اللفظ دلالات إضافية أخرى، تنتج من هذا التقابل ضمن هذا السياق اللغوي الواحد ، وهذا ما يعمد إليه منشئ النص حينما يتقصد ان يأتي باللفظ وضده في سياق واحد .

دلالة الثنائيات الضدية في أدعية الصحيفة الكاظمية

وقد وردت الثنائيات اللغوية الضدية نصوص الصحيفة الكاظمية بشكل ملحوظ، ووظفت لأداء معاني متعددة بحسب ما تقتضيه طبيعة السياق اللغوي الذي ترد فيه هذه الألفاظ المتضادة وكالتالي :

١-الثنائيات المتضادة : مصطلح لغوي يستعمل للدلالة على كلمتين أو أكثر، لهما معاني متعارضة، وتستعمل في سياق لغوي واحد لإنتاج معنى دلالي أعمق، أو لإحداث تأثير أدبي خاص، مثل (نهار وليل) أو (حق وباطل) وتأتي هذه الثنائيات في النص لتوضيح الأفكار، وبيان الصراع الداخلي، وإيجاد حركة وحيوية في النص، وكذلك لربط المتناقضات وخلق الدهشة لدى المتلقي (الديوب، ٢٠١٧: ١٤).

ومن موارد الثنائيات المتضادة في الصحيفة الكاظمية، قول الإمام (ع): " **وأنت الرب وأنا المربوب " إذ ورد التضاد بين (الرب و المربوب) ليدل من خلال هذا الاقتران على تابعية مطلقة من قبل العبد لله تعالى، وفيه إشارة إلى تحقيق العبودية الخالصة والتسليم التام لله تعالى.**

وفي قول الإمام (ع) : " **وأنا الضعيف إليك وأنت القوي ". ورد التضاد المباشر بين (القوة والضعف) في استعمال واحد لإفادة الربط بين ضعف الإنسان وقوة الله المطلقة، فتتجلى عظمة الله تعالى في قوته، ويبرز ضعف الإنسان التام في إضطراره إلى ركن قوي يتكأ ع، وبالتالي إظهار الحاجة الملحة إلى المدد الإلهي**(الابطحي، ١٤٢٧هـ :١٩).

ومن ذلك قول الإمام (ع): " **عد على جهلي بحلمك ". فالتضاد حاصل بين (الجهل) من قبل الإنسان، و(الحلم) من قبل الله تعالى ، وهو تقابل أخلاقي ووجداني،يبرز عظمة الرحمة الإلهية التي تغمر الجاهلين.**

ومن ذلك قول الإمام (ع) : " **وعلى فقري بغناك" فالتضاد هنا تضاد (مالي وجودي)، يظهر الكرم الإلهي، الذي يغني العبد عن غيره و التذلل، أمامه تعالى و الاعتراف بين يديه بالحاجة إليه.**

ومن ذلك قول الإمام (ع): " **وعلى ذلي بعزك وسلطانك" أي (عد على ذلي بعز سلطانك) وهو تضاد بين السلطة المتحكمة بالعبد ، واستسلام العبد لقوة الله تعالى وحاكميته، فهو تضاد سلطوي يعكس سلطة الله وهيمنته على الكون و تمجيد الله، وإظهار عبودية الإنسان**(نفس المصدر: ٧١).

٢-الثنائيات التركيبية : هي تركيب لغوي يقوم على اقتران لفظين أو جملتين بينهما علاقة دلالية، تظهر من خلال التضاد، أو التقابل، أو التكامل، ويرتبطان بعلاقة نحوية (مثل العطف، أو الإضافة، أو البدل، أو المقابلة)، وتستعمل هذه الثنائيات لبيان التحول، أو المفارقة، أو الامتنان، أو التوكيد، أو التضاد(أبو المكارم، ٢٠٠٩: ١٢٢؛أحمد مطلوب، ١٩٧٨: ١٤٥). وهما كلمتان تقترنان غالبا بحكم الاستعمال اللغوي (الشائع أو العرف البياني)، ولا يشترط فيهما الترادف أو التضاد، ولها أغراض بلاغية منها:

١-المحافظة على ألإيقاع في الكلام.

٢-إظهار دلالات إضافية، فضلا عن الدلالات المركزي للعبارة.

٣-اظهار الاختلاف والتناقض من خلال تجاور المفردات المتضادة، فالتجاور يظهر الفروق ويبرزها بين المفردات.

ولذا ذكر محمد العمري إن " بعض الثنائيات تتأسس في العربية على شيوع الاستعمال، أكثر من العلاقة المعجمية، مثل (الحمد لله) و(بسم الله)". (محمد العمري،٢٠٠٥م : ١١٢). ومثال ذلك قول الإمام (ع) : " **أنت الخالق وأنا المخلوق "فهي ثنائية تركيبية قائمة على المقابلة بين فاعل ومفعول، و تجسد تمام الافتقار من العبد إلى الله، وإظهار العبودية والخضوع والتذكير بالتقابل بين القدرة الإلهية والعجز البشري، وتكرار هذه الثنائية بالمقابلة يأتي لتأكيد العلاقة الوجودية بين الخالق والمخلوق و المبالغة في التذلل، وطلب الرحمة والتأكيد على الاعتماد المطلق على الله تعالى.**

ومن ذلك قول الإمام (ع): " **أغنني بطاعتك عن طاعة عبادك، وبمسألتك عن مسألة خلقك" ففي النص ثنائية تركيبية بالدعاء، قائمة على المقابلة بين طاعة الخالق والاحتياج إلى الخلق.و تعظيم منزلة الله، والبراءة من الاستعانة بغيره، وهي ثنائية تحكي سلوكا عباديا، وتبرز حالة التضرع والاحتياج من الإنسان لله تعالى .**

ومن الثنائيات الضدية ما جاء في دعاء (الجوشن الصغير) ، فقد ظهرت الثنائيات بشكل بارز في هذا الدعاء؛ كونه قائم على المقارنة بين حالتين للإنسان، أحدهما يتعلق بحال الشدة والضيق، والآخر يتعلق بحال الرخاء الذي يكون فيه العبد نتيجة رعاية الله تعالى، ومثال ذلك في قول الإمام (ع): " **إلهي كم من عدو انتضى علي سيف عداوته، وشحذ لي ظبة مديته ، وأرهف لي شبا حده، وداف لي قواتل سمومه، وسدد إلي صوائب سهامه ولم تنم عني عين حراسته، وأضمر أن يسومني المكروه، ويجرعني ذعاف مرارته، نظرت إلى ضعفي عن احتمال الفوادح وعجزي عن الانتصار،ممن قصدني بمحاربته، ووحدتي في كثير ممن ناواني، وأرصد لي فيما لم أعمل فكري في الإرصاد لهم بمثله فأيدتني بقوتك وشددت أزري بنصرتك، وفللت لي حده، وخذلته بعد جمع عديده وحشده، وأعليت كعبي عليه، ووجهت ما سدد إلي من مكائده إليه، ورددته عليه، ولم يشف غليله، ولم تبرد حزازات غيظه، وقد عض على أنامله، وأدبر موليا قد أخفقت سراياه، فلك الحمد يا رب من مقتدر لايغلب، وذي أناة لا يعجل، صل على محمد وآل محمد واجعلني لنعمائك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين**" (الابطحي، ١٤٢٧ : ٦٣-٦٤)

فقد تضمنت هذه الفقرة من الدعاء عد ثنائيات متضادة ، تمثلت بالتضاد من خلال المفردات، أو من خلال التضاد التركيبي، الذي يشكل بمجمعه حالة تناقض أو تضاد بين حالتين يصفهما التعبير، وقد جاء في سياق هذه الفقرة الدعائية تضاد بين:

حال الخصم الذي يضمر العداوة لشخص الداعي، وبين حال الداعي ، وذلك في التعبيرات التالية :

ففي وصف حالة الخصم جاءت التعبيرات (إنتضى ، داف ، سدد ، أضمر ، يسوم ، يجرع) وهي أوصاف تكشف عن سوء السريرة، وشدة العداوة، التي يضمرها – هذا الخصم – لشخص الداعي ، وفي المقابل يعرض الإمام حالة الداعي من خلال تعداد

الصفات التي أظهرت التضاد بين ما ورد من صفات الخصم وصفات الداعي في (ضعفي ،عجزي ، وحدتي)، وهي صفات تظهر بشكل جلي حالة التضاد بين موقف العدو، وحالة الضعف والاستكانة التي يعيشها الداعي، إن هذا الاقتران في الصفات المتضادة بين الخصمين في النص الدعائي، أعطى دلالات هامشية إضافية؛ فضلا عن الدلالات المركزية للألفاظ، فالدلالة المركزية للألفاظ تمثلت في عرض (العداوة ، و إضمار السوء) من قبل الخصم، وفي نفس الوقت تركزت الدلالة المركزية حول (إظهار الضعف، وقلة الحيلة، من قبل الداعي)؛ لكن اجتماع هذه الصفات المتضادة في نص دعائي واحد أضاف الدلالات الهامشية التي تمثلت في (إبراز حالة التناقض بين الحالتين أمام الله تعالى)، الأمر الذي يجعل الداعي في موضع الرعاية الخاصة، والعطف التام والنصرة العاجلة من قبل الله تعالى.

وفي نفس السياق وردت الصفات المتضادة في وصف حالة الخصم تجاه العبد من جهة، والعبد تجاه الخصم من جهة أخرى – كما وضح الأمر في العبارة السابقة – وبين أفعال الله تعالى تجاه ضعف الداعي وتسلط الخصم، مما ولد تضادا مشتركا من قبل الأفعال التي نسبت لله تعالى، مع وصف الخصمين وذلك في (أيدتني، فللت، خذلته، ووجهت ما سدد إلي من مكائد إليه، ورددته عليه) ، وورود هذه الصفات لأفعال الله تعالى في سياق ورود الصفات المتضادة للخصمين، يصور بوضوح عظم استجابة الله تعالى، وسرعة نجدته لعبده المضطر في دعائه، ومن ثم يعرض النص حالة تضاد أخرى، تتمثل بين صفات الخصم تجاه الداعي قبل أن يعاقبه الله (جل شأنه) بأعماله، وبين حالته بعد أن وقع ع ما كسبت يداه من العقوبة وذلك في (ورددته عليه ، لم يشف غليله، لم تبرد حزازات غيضه، عض على أنامله –كناية عن الندم –، أدبر موليا، أخفقت سراياه) فقد وردت هذه الصفات لتشكل تضادا لغويا مع الصفات الخصم التي وردت في بداية الفقرة الدعائية، مما يشكل صورة متناقضة بين حالتي القوة، والهمينة، والتغطرس من جهة، وبين حالة الذل والانكسار التي أصابت الخصم وانهزامه بعد ذلك، مما يصور عظم رعاية الله تعالى لعباده، وشدة بطشه على الظالمين. و التنائيات الضدية في النص وظفت لأداء أغراض بلاغية معينة، ففي النص غرض دلالي يتعلق بعرض حالة الضعف والاحتياج البشري لله تعالى ورعايته؛ ولذا وظفت الثنائيات الضدية في سبيل عرض وتعزيز هذه الفكرة، ففي المفردتين (عدو، نصرة) ثمة تضاد بين يعكس حالة صراع الأعداء في قبال رعاية الله (تعالى) ومعونته لعبده.

وفي المفردات (ضعفي، قوتك)، تضاد لغوي يحكي عجز الإنسان، وشدة إحتياجه لنصرة الله تعالى، وفي (عجزي عن الانتصار، شددت أزري بنصرتك) ثمة تضاد واضح بين العبارتين، توضح بعمق حالة الاحتياج واللجوء إلى الله تعالى، وحسن رعايته (جل شأنه) لعباده، ففي العبارة بيان للضعف الذاتي للإنسان، في قبال التمكن الإلهي.

وفي (وحدتي، كثرة من ناواني) عرض لتعمق حالة الضعف، من خلال عرض ثنائية الوحدة والكثرة، التي تبرز حالة الاضطرار الوحيد في قبال تعدد الأعداء وكثرتهم ، ويستمر الإمام بعرض حالة المعونة الإلهية، بتوظيف مبدأ الثنائيات اللغوية الضدية، من خلال بيان حالة الإنسان الداعي – بعد أن شمله الله تعالى برعايته، وبين حالة عدوه فيعبر بـ (فللت حده، جمع عديدة وحشده)، فالثنائية هنا تحكي انكسار السلاح الذي استعمله عدوه ضده ، وبالمقابل حسن رعاية لله تعالى، ثم يعبر الإمام عن النتيجة بقوله: (أعليت كعبي، أدبر موليا)، وهو تعبير دقيق عن ما يسر الله تعالى من ظروف أدت إلى رفعة المؤمن مقابل هزيمة العدو .

وفي قوله (ع): (**ما سدد إلي، رددته عليه**) وظف التضاد لبيان انقلاب المكائد على أصحابها، وعظيم رعاية الله تعالى لعباده، وفي قول الإمام (ع): (**مقتدر لايغلب، ذو أناة لايعجل**) ثمة تضاد غير مصرح به، يتمثل في اجتماع القوة القاهرة مع الحلم الطويل، وهذا التضاد، أعطى دلالة أن الحلم الطويل لم يكن ضعف أو قلة حيلة؛ بل هو مظهر من مظاهر القوة والاقتدار.

وفي الفقرة الدعائية التي يقول فيها الإمام (ع):

" **إلهي وكم من باغ بغاني بمكائده، ونصب لي أشراك مصائده، ووكل بي تفقد رعايته، وأضبأ إلي إضباء السبع لطريدته، انتظارا لانتهاز فرصته، وهو يظهر بشاشة الملق، ويبسط وجها غير طلق فلما رأيت دغل سريرته، وقبح ما**

انطوى عليه لشريكه في ملته، وأصبح مجلبا لي في بغيه أركسته لأم رأسه، وأتيت بنيانه من أساسه، فصرعته في زبيته ورديته في مهوى حفرته، وجعلت خده طبقا لتراب رجله، وشغلته في بدنه ورزقه، ورميته بحجره، وخنقته بوتره، وذكيته بمشاقصه، وكبته لمنخره، ورددت كيده في نحره، وربقته بندامته، وفسأته بحسرته فاستخذأ وتضاءل بعد نخوته وانقمع بعد استطالته، ذليلا مأسورا في ربق حبالته، التي كان يؤمل أن يراني فيها يوم سطوته، وقد كدت يا رب لولا رحمتك أن يحل بي ماحل بساحته، فلك الحمد يا رب من مقتدر لايغلب، وذي أناة لا يعجل صل على محمد وآل محمد واجعلني لنعمائك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين."

وهو نص زاخر بالتعابير الوصفية المتضادة، التي تآزرت لإنتاج دلالات مختلفة من تتعلق بالخصم، أو الداعي، أو بأفعال الله تعالى تجاه الخمصين (المعتدي، والداعي) ، فالنص بدأ بتعداد مجموعة صفات تمثل شدة عداوة الخصم، وسوء سريرته تمثلت في : (بغاني — وهي من البغي وهو قصد الظلم —، نصب ، ووكل بي من تفقد رعايته — بالسوء –،وأضبأ إلي إضباء السبع لطريدته — كناية عن نرصد السوء –، انتظارا لفرصته)، هذه الصفات اجتمعت في عبارة واحدة؛ لتصور بشكل دقيق حالة العداوة، وإضمار السوء الذي تكتنفه نفي الخصم تجاه الداعي، ولذا جاءت الصفات التي تتعلق بأفعال الله تعالى تجاه هذا الخصم؛ لتشكل حالة من التضاد اللغوي والمعنوي، الذي شكل صورة عميقة من الدلالات الهامشية الإضافية، للدلالات المركزية للعبارت؛ وذلك في (أركسته، أتيت بنائه من أساسه، صرعته، جعلت خده طبقا لتراب رجله، شغلته ببدنه ورزقه، رميته بحجره، خنقته بوتره، ذكيته بمشاقصه، كبيته لمنخره، رددت كيده لمنحره، ربقته بندامته، فسأته بحسرته)، هذه الصفات التي تعددت بمفرداتها، واتحدت في مضمونها وقسوتها تجاه الخصم المعتدي، اجتمعت في سياق لغوي واحد، مع صفات الخصم المتقدمة، لتشكل صورة من صور التضاد التي أضافت دلالة هامشية، تتعلق بعظم انتقام الله تعالى من الظالم، إذا تمادى بظلمه، بدلالة قول الإمام (ع) في درج هذه الصفات: (فلما رأيت دغل سريرته، وقبح ما انطوى عليه لشريكه في ملته، وأصبح مجلبا لي في بغيه) وهو تعبير يضيف إلى ما تقدم دلالة مراقبة الله تعالى لعباده وانه بالمرصاد للظالمين وان طال أمد حلمه جل جلاله.

وفي قول الإمام(ع) في سياق نفس الفقرة الدعائية : " وهو يظهر بشاشة الملق، ويبسط وجها غير طلق فلما رأيت دغل سريرته، وقبح ما انطوى ع لشريكه في ملته" عرض الإمام التضاد بين الحالة الظاهرية للخصم، وما يضمره من سوء السريرة تجاه العبد، فظهر التضاد جليا بين (بشاشة الملق، و بسط الوجه) و(دغل السريرة و قبح ما يضمره لشريكه)، وهو تضاد يظهر حالة التناقض في شخصية الخصم مما جعله محلا للتناقضات وبالتالي موضعا لنزول عقوبة الله تعالى.

ولذا يعرض النص بعد ذلك حالة التضاد بين صفات الخصم المعتدي في البداية، وصفاته بعد أن حل به غضب الله تعالى وذلك في: (استخذأ، تضاءل، انقمع، ذليلا، مأسورا) وهي صفات تظهر التضاد بشكل جلي، بين حالة المعتدي في طغيانه الأول، وبين خضوعه وندمه، بعد أن حل به عقاب أعماله السيئة ، واجتماع هذه الصفات في سياق لغوي واحد، يرسم صورة متكاملة لعظيم رعاية الله تعالى لعباده، وشدة عذابه على من يظلم الناس، رغم طول آناته وحلمه (جل شأنه)، وقد أضيف إلى التضاد استعمال الأساليب البلاغية المتمثلة بالمجاز والكناية لتعميق دلالة الصفات وتحقيق تأثيرها على المتلقي.

وفي قول الإمام (ع): " **فاستخذأ وتضاءل بعد نخوته، وانقمع بعد استطالته، ذليلا مأسورا في ربق حبالته التي كان يؤمل أن يراني فيها يوم سطوته** "

وردت ألفاظ متضادة، تعاقبت على وصف حالة العبد وخصومه، وأفعال الله تعالى تجاه كل واحد منهما، مما عزز بيان صفتي القوة القاهرة لله (جل شأنه)، من جهة، وعظيم حلمه من جهة ثانية (استطالته، انقمع) إذ يعرض التضاد حالتين من حالات الخصم، الأولى تتعلق بعرض حالة قوته الوهمية، التي جعلته يشمخ بقوته ويتقوي باستطالته، والثانية تتعلق بفعل الله تعالى به، بعد أن عامله بعدله، فكانت ثنائية (الإستطالة والانقماع) تحكي بعمق وصف حلم الله تعالى وشدة بطشه (جل جلاله).

وفي (مأسورا، سطوته) وردت اللفظتان المتضادات في سياق لغوي واحد؛ لوصف ما أصبح ع حال الخصم، وما كان يتمنى من رؤية العبد المؤمن في حالة أسر وخضوع لقوته، فكان وصف الأمنية والحال الذي آل إليه، وصفا متضادا يصور أثر سوء السريرة وخبثها، على ما يؤول إليه حال صاحبها.

روى عن الإمام الكاظم (عليه السلام) فى دعاء الجوشن الصغير: " **إِلَهِي وَكَمْ مِنْ ظَنٍّ حَسَنٍ حَقَّقْتَ، وَمِنْ كَسْرِ إِمْلَاقٍ جَبَرْتَ، وَمِنْ مَسْكَنَةٍ فَادِحَةٍ حَوَّلْتَ، وَمِنْ صَرْعَةِ مُهْلِكَةٍ نَعَشْتَ، وَمِنْ مَشَقَّةٍ أَرَحْتَ، لَا تُسْأَلُ عَمَّا تَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ، وَلَا يَنْقُصُكَ مَا أَنْفَقْتَ، وَلَقَدْ سُئِلْتَ فَأَعْطَيْتَ، وَلَمْ تُسْأَلْ فَابْتَدَأْتَ، وَأَسْتَمِيحُ بَابَ فَضْلِكَ فَمَا أَكْدَيْتَ، أَبَيْتَ إِلَّا إِنْعَامًا وَامْتِنَانًا، وَإِلَّا تَطَوُّلًا يَا رَبِّ وَإِحْسَانًا، وَأَبَيْتُ إِلَّا انْتِهَاكًا لِحُرُمَاتِكَ، وَاجْتِرَاءً عَلَى مَعَاصِيكَ، وَتَعَدِّيًا لِحُدُودِكَ، وَغَفْلَةً عَنْ وَعِيدِكَ، وَطَاعَةً لِعَدُوِّي وَعَدُوِّكَ، وَلَمْ يَمْنَعْكَ يَا إِلَهِي وَنَاصِرِي إِخْلَالِي بِالشُّكْرِ عَنْ إِتْمَامِ إِحْسَانِكَ، وَلَا حَجَزَنِي ذَلِكَ عَنِ ارْتِكَابِ مَسَاخِطِكَ.** (ابن طاووس،١٤١١: ٣٩٥). فقد وردت عدة ثنائيات ضدية ضمن هذه الفقرة الدعائية، مشكلة باجتماعها لونا من التوزاي للمعاني المقصودة في النص، ومولدة دلالات إضافية على الدلالة المركزية ، فقد وردت الثنائيات (كسر، جبرت)، (مسكنة، حولت – أي غيرت المسكنة بضدها –)، (صرعة، نعشت _ أي دفعت ما يؤدي الى الهلكة وأنعشت حال المصروع –)، (مشقة، أرحلت – أي صرفت ما يسبب المشقة ووفرت سبيل الراحة)، (سؤلت، اعطيت) ، هذه الثنائيات التي تلازمت في نص واحدة، وحكت عن حالة متقابلة متضادة؛ غير انها عند ورودها في سياق تعبيري واحد تحولت دلالتها؛ لترسم صورة متكاملة عن ما موقف العبد تجاه الله تعالى في الإقدام عليه ، وموقف الله تعالى تجاه عبده بالرحمة والعطف، فنتج عن هذا التلازم في السياق الواحد دلالات إضافية عن سعة رحمة الله تعالى، وحسن تدبيره للعبد، والمفردات وان لم يظهر في بعضها التضاد بشكل جلي، غير أنها حين مجيئها في سياق تعبيري واحد شكلت منظومة واحدة من المعاني المتضادة القائمة على الفعل وردة الفعل بين الله تعالى وعبده.

ويظهر التضاد في الأفعال بشكل جلي في قول الإمام (علي) في نفس النص الدعائي: " **أبيت إلا إنعاما وامتنانا، وإلا تطولا يا رب وإحسانا، وأبيت إلا انتهاكا لحرماتك، واجتراء على معاصيك، وتعديا لحدودك، وغفلة عن وعيدك وطاعة لعدوي** " فقد صدر الفعل بالرحمة والمعونة للعبد، رغم ما يصدر من قبل العبد من الإصرار على المخالفة، والخروج عن طاعة الله تعالى، وقد وظف التضاد التركيبي بين العبارتين لبيان مدة جهل الإنسان وتجرؤه ، وعظيم حلم الله تعالى وسعة رحمته ، فشكل الفعل (أبيت المتعلق بالعبد) و (أبيت المتعلق بالله تعالى) صورة جلية للتضاد مع بيان الفرق بين فعل الطرفين، العبد والله تعالى.

وفي دعاء الإمام الكاظم (ع) الذي جاء تحت عنوان (دعاء سريع الإجابة) الذي نصه: " **اللهم إني أطعتك في أحب الأشياء إليك وهو التوحيد ولم أعصك في أبغض الأشياء إليك، وهو الكفر فاغفر لي ما بينهما، يا من إليه مفري آمني مما فزعت منه إليك، اللهم اغفر لي الكثير من معاصيك، واقبل مني اليسير من طاعتك، يا عدتي دون العدد، ويا رجائي والمعتمد، و يا كهفي والسند، و يا واحد يا أحد، يا قل هو الله أحد، الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ؛ أسألك بحق من اصطفيتهم من خلقك ولم تجعل في خلقك مثلهم أحدا، أن تصلي على محمد وآله، وتفعل بي ما أنت أهله، اللهم إني أسألك بالوحدانية الكبرى، والمحمدية البيضاء، والعلوية العليا، وبجميع ما احتججت به، على عبادك وبالاسم الذي حجبته عن خلقك، فلم يخرج منك إلا إليك، صل على محمد وآله، واجعل لي من أمري فرجا ومخرجا، وارزقني من حيث أحتسب، ومن حيث لا أحتسب إنك ترزق من تشاء بغير حساب،** " مثلت الثنائيات الضدية عنصرا مهما في بنائه فقد وردت في سياقه مجموعة أنواع من الثنائيات الضدية وكالتالي:

١ –الثنائيات الضدية الدينية والعقدية : وذلك في (التوحيد، الكفر)، وهذا التضاد يبرز تقابل أعظم الطاعات وهو (التوحيد)، في قبال أقبح المعاصي وهو (الكفر)، وهو تضاد يبرز المفارقة القصوى بين أعظم الطاعات وأقبح المعاصي؛ وهو أسلوب لازمه حصر

في الدلالة، على أنّ مابين هاتين الصفتين من معاصي يطمع الإنسان بشمولها بغفران الله تعالى له، مادامت دون معصية الكفر، والمقابلة تحمل دلالة هامشية مضمونها طلب العفو والمغفرة، والطمع في أن يتجاوز الله تعالى عن عبده.

۲–ثنائيات قيمية: وهي تحكي عن قيمة الحب والبغض ، وذلك في (أحب الأشياء، أبغض الأشياء) ، فالتضاد بين الحب والبغض يعطي قوة تصويرية على التباين بين الطاعة والمعصية، مما يعطي للمتلقي مساحة واسعة لإدارك أن الطاعات محببة لله تعالى وإن قلت، وإن المعاصي مبغوضة عند الله وإن قلت بدلالة استعمال اسم التفضيل في الحالتين، وهذا الانتقال يخلق أثرا وجدانيا يعمق معنى الدعاء في نفس الداعي.

۳–ثنائيات سلوكية : وهي ثنائيات تحكي تعارض سلوكين من شخص واحد، وتتمثل في نصوص الصحيفة الكاظمية في قول الامام (ع): (الكثير من معاصيك، اليسير من طاعتك)، فهنا تضاد عددي يدور بين (الكثرة والقلة)، ويبرز حالة التفاوت بين حال الإنسان العاجز، ومقابلة الله تعالى لهذا العبد بالرحمة والمغفرة، وثمة دلالة إضافية لهذا النص يوفرها التقابل بين التعبيرين، مفادها الاعتراف بالعجز وإعلان التقصير أمام الله تعالى، والتوسل به تعالى لقبول اليسير من الطاعات، وهذا لون من الأساليب البلاغية القائمة على الاسترحام بالأضداد .

۱–ثنائيات وجودية: تتحدث عن مكان، أو زمان،وإن كان على نحو المجاز، وذلك في قول الإمام (ع): (مفري إليك، مما فزعت منه إليك)، فثمة مفارقة بين (المفر، والمفزع)، تعطي دلالة من خلال هذا التواجد في سياق واحد مفادها: إن العبد لا يجد ملجأ من الله تعالى إلا إليه ، وهو أسلوب بلاغي عالي قائم على الجمع بين (الخوف والرجاء).

۲–ومن التضاد ما يتعلق بالأمر النفسي : وذلك في قول الإمام (ع):(من حيث أحتسب، من حيث لا أحتسب)، وهذا التضاد يعطي دلالة التسليم الشامل من قبل العبد لأمر الله تعالى، والاعتراف الضمني بالعجز عن المعرفة التامة عند الإنسان ، ويطلب من الله تعالى أن يفتح له الأبواب التي يحتسبها ويدركها، والأبواب التي لا يمكن أن يدركها.

وفي دعاء الإمام الكاظم (ع) المعروف بدعاء الاعتقاد، وهو دعاء طويل نسبيا، كانت هناك حصة للثنائيات الضدية، إذ يقول الإمام (ع) فيه:" **إلهي إن ذنوبي وكثرتها قد غبرت وجهي عندك، وحجبتني عن استئهال رحمتك، وباعدتني عن استنجاز مغفرتك، ولولا تعلقي بآلائك، وتمسكي بالرجاء لما وعدت أمثالي من المسرفين، وأشباهي من الخاطئين، بقولك «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيم»(الزمر/۵۳) وحذرت القانطين من رحمتك فقلت: " ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ثم ندبتنا برحمتك إلى دعائك فقلت:« وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِين»(غافر/٦٠). إلهي لقد كان ذل الإياس علي مشتملا، والقنوط من رحمتك بي ملتحفا إلهي قد وعدت المحسن ظنه بك ثوابا، وأوعدت المسئ ظنه بك عقابا، اللهم وقد أسبل دمعي حسن ظني بك في عتق رقبتي من النار، وتغمد زللي وإقالة عثرتي، وقلت وقولك الحق لا خلف له** "كانت الثنائيات الضدية حاضرة بوضوح، من خلال تنوع استعمالها وأغراضها ومن ذلك :

فأول الثنائيات التي تبرز في هذا الدعاء ، هي ثنائية (الذنوب، ورحمة الله تعالى)، وهي ثنائية تقوم على تقييم ما لدى العبد، وما يقابلها من عطاء الله تعالى المتمثل بالرحمة ، وهو تقابل مادي معنوي يشمل الجانبين، وهذه الثنائية تبرز التناقض بين حال السائل من خلال الاعتراف بذنوبه وكثرتها، وبين صفة الرحمة الواسعة لله تعالى، وهو أسلوب يستعمل لاستدرار العطف والرحمة من الله تعالى على العبد المعترف ، ويورث الاطمئنان والسكينة لدى لعبد بحسن ظنه بالله تعالى.

وثمة ثائية أخرى برزت في الدعاء، من خلال صفتي (الحجب و الفتح)، وهو تقابل مجاز يقوم على (الحجب وتعني الغلق ، وبين الفتح وتعني نزول الرحمة)، وهنا مجاز للدلالة على إقصاء الرحمة بسبب الذنوب، مقابل استحقاق الرحمة، وتتشكل من خلال ذلك

(لوحة مصيرية) تصف حال الإنسان الذي تحرمه الذنوب عن استحقاق نظر الله تعالى وعطفه، ففعل الذنب يحجب؛ لذا كان الرجاء بطلب كشف الحجب.

وفي ثنائية (القنوظ، الرجاء) في قوله (ع): **(ولولا تعلّقي بآلائك، وتمسّكي بالرجاء لما وعدتَ أمثالي من المسرفين، وأشباهي من الخاطئين... إلهي! لقد كان ذُلّ الإياس علَيّ مشتملاً، والقنوط من رحمتك بي مُلْتَحِفاً)** مثلت التضاد العاطفي بين اليأس والأمل وتظهر من خلال ذم فكرة اليأس والقنوط ، وتمجيد الرجاء والتمسك بالأمل ، وهو أسلوب يستعمل لحث الداعي على الثبات و عدم اليأس وتعمق الشعور بالرحمة الإلهية، والصورة البلاغية الدقيقة التي يرسمها التعبير (بي ملتحفا) تصور بشكل عميق إحاطة أثار الذنوب بالإنسان، فهي كالغطاء الذي يلتحف به الإنسان ويحيطه من كل الجهات، والتعبير يحمل دلالة رمزية بتوظيف المجاز القائم على تشبيه منع الذنوب للأمل كما يمنع الدثار البرد أو الهواء .

وفي ثنائية (المحسن، المسيء) التي وردت ي سياق الدعاء تجلى التضاد القيمي في هذه الثنائية الأخلاقية، والمقابلة بين توفر قيمة بلاغية عالية، ترفد دلالة الاستعطاف، وطلب الرحمة، بعد الاعتراف بالعجز وقلة الحيلة من قبل الداعي .

وفي دعاء الإمام الكاظم (ع) الذي جاء تحت عنوان (دعاء في الثناء على الله) برزت الثنائيات الضدية بشكل واضح ضمن نصوصه ، إذ اعتمد النص في بنائه البلاغي – بشكل أساسي– على ثنائيات تبرز الفارق بين الكمال الإلهي والنقص البشري، فجاءت مفردات:(ديمومة، فناء)، (قو، ضعف)، (علم، جهل)، (غنى، حاجة)، (ظهور، حجب)، والغرض البلاغي العام من حشد هذه الثنائيات المتضادة هو التعظيم، و التأكيد على التوحيد، وإبراز عظمة الصفات الإلهية، وإظهار افتقار الداعي غالى رعاية الله تعالى وتأصل الحاجة في طبيعته البشرية .

ففي قول الإمام (ع): "**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أُثْنِي عَلَيْكَ، وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَ مِنْ ثَنَائِي عَلَيْكَ وَمَجْدِكَ، مَعَ قِلَّةِ عَمَلِي وَقِصَرِ ثَنَائِي، وَأَنْتَ الْخَالِقُ وَأَنَا الْمَخْلُوقُ، وَأَنْتَ الرَّازِقُ وَأَنَا الْمَرْزُوقُ، وَأَنْتَ الرَّبُّ وَأَنَا الْمَرْبُوبُ وَأَنَا الضَّعِيفُ إِلَيْكَ وَأَنْتَ الْقَوِيُّ، وَأَنَا السَّائِلُ وَأَنْتَ الْغَنِيُّ، لَا يَزُولُ مُلْكُكَ، وَلَا يَبِيدُ عِزُّكَ وَلَا تَمُوتُ وَأَنَا خَلْقٌ أَمُوتُ وَأَزُولُ وَأَفْنَى، وَأَنْتَ الصَّمَدُ الَّذِي لَا يُطْعَمُ، وَالْفَرْدُ الْوَاحِدُ بِغَيْرِ شَبِيهٍ، وَالدَّائِمُ بِلَا مُدَّةٍ، وَالْبَاقِي إِلَى غَيْرِ غَايَةٍ، وَالْمُتَوَحِّدُ بِالْقُدْرَةِ وَالْغَالِبُ عَلَى الْأُمُورِ بِلَا زَوَالٍ وَلَا فَنَاءٍ، تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ كَمَا تَشَاءُ، الْمَعْبُودُ بِالْعُبُودِيَّةِ وَالْمَحْمُودُ بِالنِّعَمِ، الْمَرْهُوبُ بِالنِّقَمِ، حَيٌّ لَا يَمُوتُ صَمَدٌ لَا يُطْعَمُ وَقَيُّومٌ لَا يَنَامُ، وَجَبَّارٌ لَا يَظْلِمُ، وَمُحْتَجِبٌ لَا يُرَى، سَمِيعٌ لَا يَشُكُّ، بَصِيرٌ لَا يَرْتَابُ، غَنِيٌّ لَا يَحْتَاجُ، عَالِمٌ لَا يَجْهَلُ، خَبِيرٌ لَا يَذْهَلُ، ابْتَدَأْتَ الْمَجْدَ بِالْعِزِّ، وَتَعَطَّفْتَ الْفَخْرَ بِالْكِبْرِيَاءِ، وَتَجَلَّلْتَ الْبَهَاءَ.** " (نفس المصدر)

برزت ظاهرة الثنائيات الضدية المتعلقة بالمقابلة بين شخص الداعي والمدعو ، فشكل أسلوب (أنا ، أنت) حجر الزاوية في تركيبة هذه الثنائيات المتضادة .

ففي (أنت الخالق ، أنا المخلوق) أظهرت المقابلة المتضادة بين الصفتين (الخالقية والمخلوقية) دلالات إضافية تتعلق بإبراز جانب القوة والاستعلاء والهيمنة الإلهية من جهة، وجانب الضعف البشري والاحتياج والاستكانة في الطرف الآخر.

وكذا الأمر في (أنت الرازق، أنا المرزوق) فقد عمق التضاد في سياق النص حالة الاستغناء الإلهي والفقر البشري في نص واحد

وفي (أنت الرب، أنا المربوب) ، أظهر التضاد طبيعة العلاقة بين طرفي الحديث في الدعاء، فهو حديث قائم على علاقة الرب والمربوب، والتضاد في سياق هذا التعبير أعطى دلالة توكيد صفة الربوبية لله و صفة العبودية الإنسان.

وفي قول الإمام (ع): (أنت القوي، أنا الضعيف)، تضاد بالنسبة بين القوة والضعف، و هو يوفر دلالة التعظيم للقدرة الإلهية وإبراز حاجة العبد لله تعالى.

وفي قوله (ع): (أنت السائل، أنا السائل) جاء التضاد في الصفات لإعطاء دلالة هامشية تضاف إلى الدلالة المركزية، وهي الدلالة على الحاجة والضعف من جهة العبد، والاستغناء والقوة من جهة الله تعالى ، فالسؤال فرع الاحتياج وهو فرع الضعف ، والاستغناء فرع القوة ؛ ولذا كان (القوي) أحد أسماء الله الحسنى .

ومن الثنائيات التي وردت في هذا الدعاء، ما يمكن أن نصنفها على أنها الثنائيات التي تكون ضمن الحقل الدلالي المتعلق بـ (ثبات صفات الله تعالى ودوامها وزوال صفات الإنسان)، فهو تضاد بين البقاء والفناء ومن هذه الثنائيات:ففي قوله (ع): (**لا يزول ملكك، أنا أموت وأزول وأفنى**) أظهرت الثنائية التضاد بين البقاء والفناء، وتعطي دلالة الغنى والفقر؛ فالغني باق لا يزول؛لأن وجوده تعالى لا يفتقر إلى غيره، والزائل فقير محتاج إلى من يمده بالوجود لبقائه، وكذا الأمر في قوله (ع): (**حي لايموت، أنا أموت**)

ومن الثنائيات التي وردت في سياق هذا الدعاء ثنائيات تتعلق بـ (المعرفة) ويمكن تسميتها بالضديات (المعرفية) وتمثلت في (علم،جهل) ،(سمع، شك) ،(عالم لا يجهل) ، (خبير لايذهل) وهي استعمالات تعط مقارنة مركبة بين العلم والجهل والخبرة والاضطراب ، والإطمئنان والذهول فتعطي دلالة إطلاق العلم الإلهي وإحاطته في قبال محدودية العقل البشري.

ومن هذا التضاد ما جاء على نحو التضاد بين الصفة والفعل وذلك في (سميع لايشك)، وهو تقابل في المعنى والصيغة فمن ناحية الصفة فهو عقد مقارنة بين (السمع والشك)، وهي مقارنة عميقة فقد يسمع السامع شيئا ويبقى مترددا في الحكم ؛ لكن الله تعالى سميع (بصيغة المبالغة) لايشوب سمعه شك ومقابلة من ناحية ثانية بين استعمال الاسمية في (سميع) وصيغة الفعل (يرتاب) وكما هو معروف إن الاسمية تدل على الثبوت والفعلية تدل على عدم الثبوت (ينظر: السامرائي ، فاضل، ۲۰۰۷م، ۹) ؛ لذا اختار الاسمية في نسبة صفة السمع (سميع) للدلالة على ثبوت صفة السمع له تعالى، واختار الفعل في (يشك) للدلالة على عدم ثبوت هذا المعنى له تعالى، وفي (بصير لا يرتاب) تكرر الأسلوب في إنشاء تقابل على نحوين: تقابل في المعنى (بصر، ارتياب)، وتقابل في الصفة بين الاسمية والفعلية، فاستعمل الاسمية في صفة البصر؛ للدلالة على ثبوت صفة البصر، واستعمل الصيغة الفعلية في (الارتياب) للدلالة على عدم ثبوت هذه الصفة له تعالى.

الخاتمة والاستنتاجات

لقد خلصت هذه الدراسة، التي تناولت "الثنائيات اللغوية الضدية في أدعية الصحيفة الكاظمية"، إلى مجموعة من النتائج الجوهرية التي أجابت على تساؤلات البحث وفق المحاور الآتية:

أولاً: حضور الثنائيات الضدية في الصحيفة الكاظمية

أظهرت الدراسة أن ظاهرة التقابل والضدية تمثل عنصراً بنيوياً فعالاً وحاضراً بقوة في نسيج نصوص الصحيفة الكاظمية. فهي لم تكن مجرد زخرف لفظي، بل كانت "آلية دلالية" محورية استثمرها النص الديني لتوسيع آفاق المعنى، وتجاوز الثبات الدلالي للألفاظ، مما أضفى على الأدعية حركية وتفاعلاً بين المفردات.

ثانياً: الدلالات المركزية والهامشية وسلطة السياق

كشف البحث أن حضور هذه الثنائيات أنتج شبكة من الدلالات المتداخلة:

الدلالات المركزية :ساهم التضاد في تثبيت المعاني الأساسية (كعظمة الخالق في مقابل ضعف المخلوق) وتوكيدها في ذهن المتلقي.

الدلالات الهامشية (الإضافية) :نجحت الثنائيات في فتح أبعاد تفسيرية جديدة وإيحاءات غير مباشرة تتجاوز المعنى الحرفي، وذلك بفضل الدور المحوري لـ "السياق "الذي عمل كبوصلة لتوجيه الدلالة وتشكيل المعنى المستوحى من التقابل.

ثانياً: أنواع الثنائيات اللغوية الضدية وتصنيفاتها

بينت الدراسة تنوعاً ثرياً في أنماط التقابل داخل الصحيفة، ويمكن تقسيمها إلى:

من حيث التركيب :لم تقتصر على التضاد بين المفردات، بل شملت الثنائيات المركبة (التقابل بين الجمل والتعابير)، وصولاً إلى "التضاد المزدوج "متعدد الأطراف، لا سيما في "دعاء الجوشن الصغير."

من حيث المضمون :تصنفت الثنائيات إلى ثلاثة مجالات رئيسة:

-ثنائيات عقائدية :تتعلق بالتوحيد والصفات الإلهي

-ثنائيات أخلاقية وقيمية :تبرز الصراع بين الرذيلة والفضيلة.

-ثنائيات وجودية :تركز على طبيعة العلاقة بين العبد المفتقر وخالقه الغني المطلق.

شكلت بعض الضديات الثنائية تضادا مزدوجا مع أكثر من طرف، كالضديات التي وردت في بعض فقرات دعاء الجوشن الصغير، والتي تضمنت الضديات بين موقف الخصم والعبد من جهة وبين موقف الخصم والله تعالى من جهة أخرى، وبين العبد والله تعالى من جهة ثالثة، وهذا ما يعد لونا جدير بالدراسة والبحث؛ كونه لم يسلط عليه الضوء بشكل كافي.

المصادر

[١]الأبطحي، **الصحيفة الكاظمية الجامعة لأدعية الإمام موسى ابن جعفر(ع)**، جمعها السيد محمد باقر الأبطحي، دار الإمام المهدي، بيروت – بغداد، ط١، ١٤٢٧.

[٢]ابن طاووس، جعفر، **مُهَج الدعوات و منهج العبادات**، دار الذخائر، قم، ١٤١١.

[٣]أبو المكارم، علي أبو المكارم، **البنية الثنائية في لغة الأدب العربي**، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٥، العدد ٣، ٢٠٠٩.

[٤]حسان، تمام، ١٩٩٣، تمام حسام، **البيان في روائع القران**، دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآني ، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٩٣.

[٥]الديوب، سميرة، **الثنائيات الضدية في الشعر العربي القديم**، منشورات الهيأة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة –دمشق، ٢٠٠٩.

[٦]الديوب، سميرة، **الثنائيات الضدية في المصطلح ودلالاته**، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية في العتبة العباسية المقدسة، ٢٠١٧م – ١٤٣٩هـ .

[٧]السامرائي، فاضل، **معاني الأبنية**، دار عمار للنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠٠٧م.

[٨]عتيق، عبد العزيز، ١٩٨٥، عبد العزيز عتيق، **البلاغة العربية: علم البيان، علم المعاني**، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، ط٤، ١٩٨٥م.

[٩]العمري، محمد، **المصطلح اللساني**: دراسة تحليلية نقدية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٥م.

[١٠]مطلوب، احمد، ١٩٧٨، أحمد مطلوب، **الأساليب الإنشائية في النثر العباسي**، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٨.

[١١]الجبوري، رازقية كاظم، **فاعلية الثنائيات الضدية في التشكيل الموضوعي في رثاء المدن الاندلسية (دراسة تحليلة)**، الدكتور علي كاظم المصلاوي، مجلة جامعة كربلاء، ٢٠١٥.

[١٢]كرم، د. عبد الرحمن اساعيل، **الدين الثنائيات الضدية في نقائض جرير والفرزدق والأخطل وأثرها في المعنى الشعري**، مجلة العلوم العربية والانسانية، جامعة القصيم ، ٢٠١١.